المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

إشكالية الهوية: جدل بين الأنا والآخر - عبد الله شريّط نموذجا-

The Problematic Of Identity : Dialectic Of The Self And TheOther Abdellah Cheriet As A Model

شهرة درسوني
طالبة دكتوراه (شعبة الفلسفة)
جامعة الجزائر 02

تاريخ الإرسال: 29 / 02 / 2020	تاريخ القبول: 01 / 03 / 2020	تاريخ النشر: 10 / 04 / 2020

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية للوقوف أمام إشكالية فلسفية معاصرة في غاية الأهمية تخص الفكر العربي والإسلامي عامة والجزائري على وجه الخصوص، والمتمثلة في " مشكلة الهويّة "، وذلك من خلال البحث في مشكلة هويّة الإنسان الجزائري التي وقعت في جدلية الأنا والآخر، وأضحت عرضة للحصر بين عملية التأويل الإيديولوجي و محاولة للفهم العقلاني، إنّه الأمر الذي جعل الدكتور الجزائري عبد الله شريّط يتعرّض له بالدراسة النقدية متناولا في البداية الأبعاد الأساسية المكوّنة لهوية الإنسان الجزائري، ثم تكاتف الأسباب الذاتية والخارجية في وقوع هويّته في جدلية الأنا والآخر، محاولا في الأخير تقديم رؤية إستشرافية للتخلص من هوس الهوية في ظل الحرص على الخصوصية وعدم الحياد من الإنفتاح على الكونية.

الكلمات المفتاحية: إشكالية؛ الهويّة؛ الجدل؛ الأنا؛ الآخر.

Summary :

This research paper amis for a contemporary philosoophical and pivotal problem that pertains with Arab and Islamic thought in general and the Algerian ones in particular, it represented in " the identity issue " , through researching in the Algerian Man identity problem that falls up at the ego and the other‘s dialectic , and become subject to confinement between the process of ideological interpretation and to rational understanding attempt. This is what made Dr. Abed Allah Cheriet to do a critical study that he at first dealt with the fundamental dimensions which formed the Algerian Man‘s identity.Then, he dealt with the various personal and external reasons that leads up his identity into the ego and the other dialectic. At the last, he attempted to provide an out-look vision in order to eliminate the identity obsession with the interest of privacy and non-neutrality of openness to the cosmic.

Keywords : Problem the identity, intertwine, ego, other.

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

إنّ الإنسان العربي المعاصر وفي ظل ما عاشه بالماضي من حروب ومعاناة بسبب الكولونيالية، وما يحياه راهنا من نزاعات وتوترات إيديولوجية ودينية وسياسية، والناتجة عن نهاية عهد الايدولوجيا الواحدة وبداية تعدد الإيديولوجيات، أضحى مهدّدا في هويّته وانتمائه ووطنيته، الأمر الذي جعل هذا التوتر والارتياب الذي يعيشه يتحكّم حتى بعلاقته مع غيره، وليس أدلّ على ذلك من مظاهر التقليد والمحاكاة العمياء الممارسة باسم العولمة والكونية، التي أضحت ضرورة حضارية وحاجة ثقافية ملّحة للارتقاء بإنسانية الإنسان المعاصر، والتي أدّت به للوقوع في أزمة " الأنا" و" الآخر"، بمعنى أزمة البحث عن " الأنا " في مقابل وعند " الآخر ".

إنّه ما جعلها إشكالية مطروحة وبشدة من قبل المفكرين المعاصرين في المجتمع الجزائري، ومن بين من تناولها أيضا المفكر الجزائري عبد الله شريّط الذي ناقشها في معالجته للعديد من القضايا والمشكلات التي يعاني منها الإنسان الجزائري في مجتمعه، هذا الأخير الذي عاش الكثير من الأحداث عبر فترات تاريخه من الكولونيالية إلى الاستقلال، وتعرّض للكثير من المصطلحات الكونية تنظيرا وممارسة، كالهوية، الوطنية، الانتماء، الحرية، الحق، ...وهنا حتى نتمكّن من دراسة هذه الطرح دراسة تحليلية نقدية وجب علينا التوقف أمام التساؤلات التالية: ما هي الأبعاد الأساسية المكوّنة لهوية الإنسان الجزائري حسب عبد الله شريّط؟ كيف نظّر عبد الله شريّط لإشكالية الهوية في المجتمع الجزائري ؟ أين هوية الإنسان الجزائري في إطار جدلية الأنا والآخر ؟ وهل من سبيل للخروج من منطق الثنائية هذا حسب شريّط والارتقاء للتمسك بالهوية وغرس قيم المواطنة دون الحياد عن مشاركة الآخر للقيم الكونية ؟

وسأتناول في هذه الورقة البحثية العناصر التالية:

- ✓ الأبعاد الأساسية المكوّنة لهوية الإنسان الجزائري حسب عبد الله شريّط.
- ✓ إشكالية الهوية في المجتمع الجزائري.
- ✓ هوية الإنسان الجزائري رهينة بين جدل الأنا والآخر.
- ✓ إمكانية الإنسان الجزائري من التمسك بالهوية والخصوصية ومشاركة القيم الكونية – رؤية استشرافية شريطية -.

1. الأبعاد الأساسية المكوّنة لهوية الإنسان الجزائري حسب عبد الله شريّط:

إذا كان لكل إنسان هوية تميّزه عن غيره من الناس، فإنّ هناك أبعادا أساسية مشكّلة لهذه الهويّة، والتي تتمثّل في اللغة، الدين، الوطنية، الثقافة، العادات والتقاليد، وهذه الأبعاد هي التي شكّلت هوية المفكّر الذي تناول مسألة هوية الإنسان الجزائري بالدراسة النقدية، إنّه عبد الله شريّط وهو: "(1921-2010) مفكّر جزائري من أبرز مؤلفاته: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، المشكلة الإيديولوجية وقضايا

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التنمية، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، معركة المفاهيم، حول سياسة التعليم والتعريب، من واقع الثقافة الجزائري." **(مجموعة مؤلفين،2013، ص 80).**

إنّ أوّل يميّز هذا المفكّر إذن هويّته كونه مواطنا عربيا مسلما ذو ثقافة وعادات وتقاليد جزائرية، وهي التي منحته مشروعية البحث في مسألة الهويّة، وقد وصفه الدكتور المصري محمود القاسم بقوله:" الأستاذ عبد الله شريّط وطني صادق وعربي مسلم أصيل يبادر إلى فضح كل محاولة رجعية تحاول الوقوف في طريق النهضة العربية الإسلامية في أيّ بقعة من بقاع وطننا العربي الكبير." **(شريّط، 1981، ص – ص 13 – 14).**

وعليه فإنّ أبرز الأبعاد الأساسية التي تشكّل هويّة الإنسان الجزائري منذ فترة الإستعمار إلى غاية فترة الإستقلال حسب شريّط هي العروبة واللغة العربية، الوطنية، القومية، الدين الإسلامي، الثقافة بكل ما تحمله من عادات وتقاليد، وكل هذه الأبعاد تعدّ حلقات متواصلة ومتداخلة في ما بينها، وسأشرع باللغة العربية والتعريب، يرى شريّط بأنّ :"... اللغة لابدّ لها من مجتمع، والمجتمع لابدّ له من لغة، يعيش كل منهما من الآخر ويتغذّى منه ويتفاعل معه ويكسب منه القوة على البقاء والتطوّر." **(شريّط، 1981،ص 153).**

وعلى هذا الأساس يعتبر بأنّ العروبة واللغة العربية مقوّم أساسي لهويّة الإنسان الجزائري الذي تعرّض لإمبريالية الإستعمار هذا الأخير الذي يملك لغته الأجنبية الإنسان الجزائري، وعليه فلغة الإنسان الجزائري هي اللغة العربية ولا يمكن أن تكون إلاّ العربية لا غير لأنّها المعبّرة عن ديانته وثقافته وعاداته وتقاليده، وفي هذا الصدد يقول شريّط:" (...) إنّ الثقافة الشعبية ثقافة الشعب لا تتحقّق بواسطة اللغة الأجنبية بل بواسطة لغة الشعب نفسه، ومقاومة الأمية في هذا الشعب، التي هي الخطوة الأولى للثقافة الشعبية – لا تتم بواسطة لغة أجنبية بل بواسطة اللغة العربية التي هي لغة الثقافة أو يجب أن تكون هي لغة الثقافة (...) إنّ لغة الثقافة من حيث المستوى الثقافي واللغة الوطنية من حيث الشمول الجغرافي هي اللغة العربية." **(شريّط، 2009، ص 10).**

وممّا تفضّل به شريّط في هذا الخصوص يلاحظ بأنّ اللغة العربية حسبه فضلا عن كونها مقوّم أساسي لهوية الإنسان الجزائري، فهي سلاح نضالي كان يعتمد ضد الإستعمار من خلال التمسّك بها وإعتمادها في محو الأمية التي كرّسها من جهة، والتصدّي لسياسة التهجين اللغوي الذي حاول فرضها من خلال اللغة الفرنسية، وبالتالي فإنّ من أبرز ما دعا له في فترة الإستقلال هو التعريب والتخلّص من اللغة الأجنبية، وما دعوته ومسلمّته هذه إلا ناجمة عن تأثّره بابن خلدون وفي هذا الصدد يقول:" مسألة التعريب واضحة عند ابن خلدون سهلة وبسيطة لا تحتاج إلى المناقشات النظرية التي نخوضها دون فائدة. إنّ التعريب مسألة أسبقية في تعلّم اللغة." **(شريّط،1975، ص 672).**

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ومن العروبة واللغة العربية أنتقل إلى الوطنية، إنّ هذا المصطلح كان مهيمنا ومتداولا بكثرة في فترة الإستعمار والثورة حتى فترة الإستقلال، بإعتبار الوطن مقوّم أساسي يعبّر عن هويّة وخصوصية الإنسان الجزائري، ويشرح شريّط بداية ظهور هذا المصطلح وبداية تبنّيه قائلا:" هل لنا إختيار في أن نكون وطنيين أو لا نكون ؟ بالنسبة إلينا، أو بالأحرى إلى جيلنا، لم يكن هذا السؤال مطروحا ولا كان يخطر على بال أنّه يطرح أو لا يطرح.لقد كنّا مضطّرين إضطرارا حيويا لأن نكون وطنيين، لأنّ الوطنية هي الدفاع عن النفس، والدفاع عن الوطن هو الدفاع عن حقنا في الحياة نفسها. **(شريّط،2009، ص 200).**

وما يؤكّد تحلّي الإنسان بروح الوطنية في تلك الفترة، هو تجسيد شريّط في حد ذاته لهذه الروح الوطنية في ما خطّه من أبيات من قصيدته الموسومة " وطني" في ديوانه المعنون ب" الرماد"، جاء فيها قوله:

" ظمئت إليك يا وطني وإنّي لفيك نفضت أوراق الشباب

فيا للشعب ما أقواه صبرا ويا لله للوطن المصـــــاب

إليك أبث يا شعبي شكاتي وآلامي وضيمي وإنتحابـــي" **(شريّط، د.س، ص 57).**

وإذا كان الإنسان الجزائري مميّزا بالعروبة واللغة العربية والوطنية فأكيد أنّه يملك حسّا قوميا يدافع به ليس فقط عن وطنه بل عن كل وطن يشاركه أبرز مكوّنات هويّته، ويظهر هذا جلّيا في دفاعه عن وطنه ضد الإستعمار الفرنسي من جهة، ومشاركته للجيوش العربية ضد الجيش الإسرائيلي، يقول شريّط:" **(...)** من صفات شعبنا في هذا التاريخ الحافل، حسّه القومي بخطورة الموقف عندما يجد نفسه أمام معركة مصير، فلا يتهاون فيها ولا يستسهل صعابها، ولا يبخل بتضحياته فيها، فكان دفاعه عن بلاده عند الإحتلال قلّ أن ماثله دفاع أيّ شعب في القرن التاسع عشر وكانت حرب تحريره مما قلّ شبيهه في القرن العشرين." **(شريّط، 2009، ص 192).**

وأمّا عن الدين فهو الدين الإسلامي، إنّ دين الإنسان الجزائري هو الدين الإسلامي الذي إنتهجه حتى في ثورته حسب عبد الله شريط، ويذكر في هذا الصدد العلامة عبد الحميد بن باديس هذا الأخير الذي إتّخذ في ثورته الفكرية ضد الإستعمار من الدين الإسلامي منهجا، مشيرا إلى ذلك شريّط في نصه الآتي:" ابن باديس صريح في أنّ عملية التغيير الإجتماعي ينبغي أن تنطلق من الذات أو الضمير الإنساني والإسلام الذي يحقّق هذا التغيير الإجتماعي ليس هو ما يسمّيه ابن باديس " بالإسلام الوراثي " فهذا تقليدي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير ولا يمكن أن ينهض بالأمم، لأنّه مبني على الجمود والتقليد فلا فكر فيه. أما " الإسلام الذاتي " أو " العقلي " فمبدؤه الفكر والنظر، ولحمته البرهان وبناء العمل على العلم." **(شريّط، 2009، ص – ص 281 – 282).**

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

إذن، الأبعاد الأساسية المكوّنة لهوية الإنسان الجزائري السابق ذكرها هي من جعلته في أصعب مراحل تاريخه وهي المرحلة الكولونيالية يتغلّب على الإستعمار ويهزمه وينعم بالاستقلال والحرية، فمن دون تمسّكه بهويّته وذاته الإنسانية ما كان نال ذلك، وهنا يؤكد البخاري حمانة ذلك من خلال قوله:" تجاوزت فلسفة نوفمبر بالشعب الجزائري مرحلة رد الفعل السلبي وغير المجدي تجاه واقعه الإستعماري، إلى مرحلة الفعل الثوري العقلاني المؤثّر الذي مكّنه في النهاية من هزيمة مستعمره أخلاقيا وإنسانيا قبل هزيمته عسكريا، ومن الإسهام بالتالي في إعادة البناء الأخلاقي للإنسانية الجديدة. وبذلك أخيرا تجاوزت فلسفة نوفمبر أخلاقيا حدود الجزائر، مضفية بذلك على ثورتها البعد الكوني." **(حمانة،2012 ، 248).**

2. إشكالية الهوية في المجتمع الجزائري:

تعدّ المرحلة الكولونيالية التي مرت بها الجزائر من أصعب مراحل تاريخها، وتعدّ الثورة الجزائرية الكبرى من أبرز الثورات العربية التي واجهت المدّ الإستعماري لمدة طويلة وتكلّلت بالنجاح، مستعينة في ذلك بالحفاظ على ذاتها وهويّتها والتقيّد بكل مواثيق الثورة ضد كل سياسات التهجين والتدجين والطمس التي مارسه معها، لأنّ " الهويّة حق من حقوق الإنتماء يكتسبه الإنسان بشرعية تامة إذا آمن به، ثم يستبقي حقه فيه مادام قائما على شأنه حريصا على صونه متفانيا في الإصلاح به" **(المسّدي، 2014، ص 231)**، ولكن بمجرّد نيل الإستقلال والحرية تم التراجع عن إنتهاج ما جاء في المواثيق بعد الوصول إلى الهدف، وهو ما جعل شريّط يتأسّف ويقول:" الشعب المقتدر ليس هو الذي يقوم بثورة رائعة فحسب، بل إلى جانب ذلك يحافظ على قيمتها ويعرف كيف يستفيد من تضحياته فيها." **(شريّط، 1981، ص215)**.

إنّ بداية التراجع عن ما جاء في مواثيق الثورة والإلتزام به في فترة الإستقلال حسب شريّط الذي أكدّه في نصه الآتي:" (...) ما هو أخطر من إنعدام القواعد الإيديولوجية، هو وجودها بصورة مثالية على الورق وإنعدامها من السلوك كتربية." (شريّط،2009، ص248)، كان بداية للتنازل عن بعض أهم مكوّنات هويّة الإنسان الجزائري، وهنا وقعت هويّته موقع الشروع في التهجين والإبتعاد عن الخالص، وذلك في جميع المجالات في اللغة والتعليم، في السياسة والإقتصاد، في الثقافة والعادات والتقاليد، ويعود هذا لسببين أساسيين أحدهما ذاتي داخلي والآخر خارجي، فأمّا الأول نابع من داخل الإنسان الجزائري وهو المسؤول عنه، وأمّا الثاني فخارجي عنه يظهر في ما يعرف بالعولمة والعالمية المتحكّم فيها الآخر.

وسأتناول بداية السبب الأول المسوؤل عن وقوع هويّة الإنسان الجزائري في مشكلة هويّاتية وحضارية، ففي ما يخص اللغة والتعليم، يرى شريّط بأنّ الإنسان الجزائري المستقل والمتحرّر في المجال التعليمي وحتى التداولي العمومي لم يعد يستعمل اللغة العربية بل اللغة الفرنسية، وقدّم مثالا في ذلك عن الجامعة الجزائرية بإعتبارها مشكلة بقوله:" مشكلة الجامعة، الجامعة ليست، أو هي لم تصبح بعد، جامعة جزائرية قومية، إنّها ما تزال جامعة أجنبية في روحها وقوانينها ومواد دراستها ومثلها الأعلى الذي

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ترنو إلى تحقيقه، وفي بعدها عن حقيقة الشعب الذي تعيش فيه.إنّها جامعة أوروبية متقدّمة راقية خيالية غير واقعية، منقطعة إنقطاعا تاما عن جامعة بلادها وواقعها الحضاري. هي جامعة أغلب أساتذتها من الفرنسيين وممّن تكوّنوا بعقلية فرنسية." **(شريّط،1981، ص 54)**.

إنّ تكوين الإنسان الجزائري بلغة غير لغته ونظام غير نظامه وغير نابع من عقلية وقوانين مجتمعه، يكون قد أفقده جزءا من هويّته وبالتالي فصله عن هويّته الحقيقية ومجتمعه الحقيقي لأنّ"(...) شبابنا - حسب شريّط- (وأعني طلاّبنا بالخصوص) – وهذه هي مشكلتهم الأولى- لا يشعرون أو يعون، هذه البديهية الأولى، فهم في أغلب الأحيان وفي أكثر تصرّفاتهم العملية وتكوينهم العاطفي وبنياتهم العقلية منقطعون عن مجتمعهم الحقيقي، طامحون إلى مجتمع خيالي يتبنّون مشاكله ويعالجونها بأسلوبه لأنّهم يكذّبون ما يرون ويصدّقون ما يسمعون" **(شريّط،1981، ص 41)**.

وإلى جانب غياب اللغة العربية في المجالي التعليمي ولدى الطبقة المتعلّمة والمثقّفة، غيابها لدى الطبقة الشعبية، وهنا سيتبادر إلى ذهن القارئ التساؤل التالي: من يتحمّل هذه المسؤولية؟ الجواب وفقا لرؤية شريّط، إنّه المثقّف حلقة الوصل بين أهل الإختصاص والشعب ، وعليه أنتقل إلى مجال الثقافة والمثقّف التي تعتبر مشكلة أخرى بنظره يقول فيها:" هذا هو الوجه الآخر من المشكلة، مشكلة قطيعة الإطارات المثقّف عن جمهور الشعب" **(شريّط، 1981، ص 68)**، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدم إتّفاق المثقّفين الحاملين للّغة العربية والحاملين للّغة الأجنبية حول اللغة الواجب إعتمادها ممّا نتج عنه أزمة حول نجاعة اللغة العربية من عدمه، وهي النقطة التي وضّحها شريّط في هذا النص:

" ويخيل إلي أن ما يوّجه إلى العربية اليوم من عجز عن مسايرة التطوّر العلمي والفنّي الحديث، هو في الواقع إتّهام يوجّه إلينا نحن أصحاب هذه اللّغة، وأنّ دفاعنا عن اللغة العربية بأنّها لغة العلم والتطوّر، هو أيضا دفاع عن أنفسنا يخفي وراءه عجزنا عن تطوير لغتنا، حتى أنّ المناقشة الجارية بين المهاجمين والمدافعين عن اللغة العربية، هي مناقشة مفتعلة لا تستفيد منها اللغة العربية شيئا، لأنّ موضوع الإتّهام والموضوع الحقيقي هو أصحاب هذه اللغة وليست اللغة في ذاتها.وستبقى هذه المناقشة عقيمة لا تفيد العربية في شيء إلى أن يأتي اليوم الذي يوجّه فيه الإتّهام صراحة إلى حاملي الثقافة العربية بأنّهم عاجزون عن تطوير لغتهم." **(شريّط، 1981، ص 11 – 12)**.

وعليه إذا كانت:" مشكلة العربية والتعريب عندنا.مشكلة حضارة وفكر" **(شريّط، 1981، ص 20)** حسب شريّط، فهي في البدء مشكلة وأزمة هويّة لأنّنا لم نتمسّك بها كما يجب من جهة ولم نعمل ونجتهد في تطويرها لمواكبة العصر من جهة أخرى، وأزمة اللغة العربية والتعريب والثقافة كلها تجتمع لتؤثّر بشكل كبير على هويّة وإنسانية الإنسان الجزائري، يقول مؤكّدا ذلك:" إنّ المسألة إذن تتجاوز قضية المعرّبين والتعريب (...) إنّ تأخر التعليم ليس إلاّ صورة لتأخّر قطاع تكوين الإنسان برمته، ومشكلة التعريب في

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التعليم ليست إلّا جزءا لا وزن له كبيرا في مشكلة ضخمة هي مشكلة عدم إهتمامنا بسياسة الإنسان ماديا وفكريا." **(شريّط، 2009، ص90).**

إذن شريّط هنا يريد أن يقول بأنّ الإنسان الجزائري تمكّن من تحرير وطنه إلّا أنّه لم يتمكّن من تحرير هويّته وذاته، فالإنسان كان هو الرهان الأول أثناء الثورة التحريرية الكبرى، أما مع الإستقلال أضحت المادة والآلة التي يتحكّم فيها الإنسان الجزائري من تعلو المكانة الأولى، وهو ما أثبته في النص الآتي:" ولكن بعد حرب التحرير أصبحنا نحن أيضا نعمل بعكس هذا المبدأ وهو أن نعتمد على هذه الآلة الجاهزة والمصنع ونهمل الإنسان، وأصبح السلاح أهم من الجندي، ثم " تطوّرنا " فأصبح الإنسان الذي يدير الآلة أهم من الإنسان يكوّن البشر (...) وفقدنا التوازن الذي تحرص عليه حتى الدول المصنّعة التي تصنع الآلة بنفسها، وضحّينا نحن بالإنسان في سبيل الآلة التي لا نصنعها بل نشتريها فقط." **(شريّط، 2009، ص-ص 89 – 90)**، ويؤكد في موضع آخر على هذا قائلا:" ركزنا كل شيء على العلوم التقنية وأهملنا الجانب التكويني للإنسان، وأطلقنا " الثورة الصناعية " ثم " الثورة الزراعية " قبل " الثورة الثقافية." **(شريّط،2009، ص – ص366–367).**

إنّ إهمال الإنسان أثناء فترة الإستقلال والحرية حسب شريّط هو إهمال لأمة بأكملها يقول شريّط: "ونحن عندما أضعنا فلسفة الإنسان أضعنا فلسفة الدولة أي أضعنا عنصر الفكر فيها فحرمت من مادة العقلنة الحيوية لها" **(شريّط، 1975، ص 383)**، وهو إهمال ناجم عن عدم الإكتراث شيئا فشيئا باللغة العربية والعروبة بالثقافة ثم بداية ظهور " (...) لنقص عندنا في التكوين السياسي والتربية المدنية والخلق الوطني والإعتزاز بالشخصية الخاصة للأمة." **(شريّط،2009، ص 203)** زعزع هويّة الإنسان الجزائري ونحا بها منحى التهجين ضف إلى ذلك بداية معاناته من مظاهر التناقض والتخلف الفكري والمادي، فأضحى ينظّر لشيء ويطبّق شيئا آخر ما أوقعه في أزمة براكسيسية، وهنا شريّط يشرحها قائلا:

"... نحن العرب – ومعنا الأمم المتخلّفة – ما نزال ننظر نظرة إزدواجية لكل شيء: الدين في الكتب شيء وفي واقع الناس شيء آخر. واللغة التي نكتب بها في واد، والتي نتخاطب بها في واد آخر. والسياسة التي نسطّرها في مواثيقنا ودساتيرنا غير السياسة التي نعيشها ونطبّقها في واقعنا العملي، ومن هنا كان تعثرنا الذي نتخبط به في مكان واحد أكثر مما نسير خطوات إلى الأمام." **(شريّط، 1981، ص 106).**

3. هوية الإنسان الجزائري رهينة بين جدل الأنا والآخر:

بعد تناول السبب الداخلي الذي ساهم في وقوع الإنسان الجزائري في إشكالية هويّاتية، سأتطرّق الآن إلى السبب الخارجي والمتمثّل في العولمة والعالمية التي تنتهج أساليب إغرائية مستندة في ذلك إلى تواجدها في موطن القوة والإنتاج ومسايرة التطوّر، إلّا أنّه حتى هذا السبب يتحمّل مسؤوليته الإنسان الجزائري لأنّه قبل على نفسه أن يستسلم لإغراءات الآخر والوقوف موقف المستهلك، يقول شريّط في هذا الصدد:

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

" (...) نحن اليوم نقف على أبواب حضارة ضخمة معقّدة كالتي نواجهها على النطاق العالمي اليوم، نهضمها بلغة مهما كانت مزاياها الذاتية وقابليتها للتطوّر إلاّ أن أهلها مكتفون بالإستهلاك فقط: إستهلاك القواعد التي خلّفها أجدادهم لهذه اللغة، وإستهلاك الإنتاج العلمي الذي يخلقه أبناء الأمم الأخرى المعاصرة لهم. أليست هذه حالنا اليوم عارية من كل تزييف ؟ وكذلك يخطئ من يظن أنّنا نستطيع أن نحافظ على قيمنا الخلقية والروحية ونكتفي بأخذ العلوم والتقنيات الأجنبية المعاصرة، نأخذها بلغة ما تزال قواعدها ترزح تحت أعباء حضارة أخرى إنقرض منها كل شيء حي، أليس هذا هو موقفنا على حقيقته ؟ " **(شريّط، 1981، ص20).**

إنّ تقبل موقع المستهلك فقط لكل ما هو مادي لدى الآخر، لم يتوقّف عند هذا الحد بل تعدّاه إلى إستهلاك كل ما هو روحي وقيمي وفكري، وحتى الإستهلاك الفكري تتم ممارسته من دون فهمه أو دراسته، يقول شريّط:

" (...) إنّ وضعنا الراهن في مجتمعنا العربي يتميز بالتصادم الذي إختلطت فيه حياتنا التقليدية في كل الميادين بالحياة العصرية، وهذا الإختلاط طبيعي ولم يكن لنا منه مفر، وليس لنا أن نأسف له في حد ذاته. ولكن ما نأسف له في هذا التصادم هو أننا تقبلناه عمليا وتعودناه كما لو كان شيئا طبيعيا، ودخل حياتنا اليومية قبل أن نتلّقاه فكريا وندرسه ونفهمه، فكان الجانب الحضاري في حياته موجودا وجودا عمليا أي وجودا مستعارا، ولكنّه غير موجود فكريا، أي هو غير موجود وجودا حقيقيا. إنّ وجودنا الحضاري خليط من الحقيقة والزيف." **(شريّط، 1981، ص 147).**

وعليه فإنّ الاستهلاك المادي والفكري لمنتج الغير بإسم الكونية والعالمية، من خلال تبنّي لغته وثقافته وحتى ديانته لأنّ الحضارة الأوروبية حسب شريّط "تغزو أطفاله وشبابه بأسلحة فكرة طاغية وأسلحة عقائدية فتّاكة" **(شريّط، 1981، ص16)**، هو في حقيقته تخلي عن الهويّة والذات، وقد أكّد على هذه الفكرة بصريح العبارة قائلا:

" ونحن نلاحظ في شباب اليوم - في البلدان المتخلّفة خصوصا – تراخيا في الشعور بالوطنية وميوعا عما كانت عليه في الجيل الذي كان يحكمه الإستعمار في السابق. ونلاحظ أن لأجيال اليوم " فلسفة " تناقض الوطنية، وتميل إلى العالمية، وهي تقصد " بالعالمية " التصالح مع الدول التي كانت قد إستعبدت من قبل جيل آبائهم وأجدادهم، وأفقرت أوطانهم وأذلّت ثقافاتهم وشخصيتهم وتراثهم." **(شريّط، 2009، ص 202).**

في خضّم ما مرت به هويّة الإنسان الجزائري تاريخيا من فترة الثورة إلى الإستقلال إلى العصر الراهن، إذا تم طرح سؤال سيكون:" سؤال الهوية راهنا: هل هو سؤال أزمة أم سؤال دفاع عن الذات ؟ " **(المصباحي، 2010، ص 170)** هل ما تعرّضت له هويّة الإنسان الجزائري من محاولات الطمس والتشويه

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

من جهة والتمسّك بها خالصة من جهة أخرى يجعلها تقع في إشكالية وأزمة أم مجرّد إثبات عدم تفسّخها بالدفاع عن أصالتها في مقابل الآخر؟ هل الإنسان الجزائري يعاني من أزمة هويّة وقابلية النقد في إطار الإنفتاح على الآخر أو من هوس الهويّة والإحتماء من الكونية؟

إنّ إشكالية الهوية في نظر شريّط والعديد من المفكّرين تظل قائمة ورهينة بين جدلية الأنا والآخر، بين إثبات الذات وخصوصيتها ضد الآخر تارة، وبين منحها الحق في الإنتساب إلى الآخر تحت ظلّ الكونية والعالمية تارة أخرى، أي أنّه - الانسان الجزائري- " بين خيارين كليهما مر: الإنخراط في زمن العالم، وفي ذلك تنكّر للذات والمقوّمات الأساسية للهويّة، وسقوط في إغتراب عن الذات وعن الماضي، أو الإنشداد إلى التراث والتمسّك بالهويّة المكتسبة، وفي ذلك إغتراب عن العصر وعن المكان وتعرّض للتهميش التاريخي والتحوّل إلى مجرّد ركام وزوائد." **(سبيلا، 2009، ص 252).**

4. إمكانية الإنسان الجزائري من التمسّك بالهوية والخصوصية ومشاركة القيم الكونية (رؤية إستشرافية شريطية):

إنّه لمحاولة معالجة أيّة إشكالية فكرية وجب في البدء الوعي بوجودها وإستيعابها ثم القيام بتحليلها وتفكيكها ونقدها، لتأتي المرحلة الأخيرة والمتمثّلة في محاولة تقديم البدائل والحلول الكفيلة بالتغيير الإيجابي البنّاء، لأنّ لا بناء من دون هدم ونقد، وعلى هذا المنحى سار عبد الله شريّط الذي بعد أن توقّف أمام أبرز الأسباب التي شكّلت أزمة هويّة الإنسان الجزائري قام بتوجيه النقد إلى ما هو كائن لأجل بناء ما يجب أن يكون.

وحتى يتمّكن الإنسان الجزائري وفق رؤيته من النجاح في تجاوز إشكالية الهويّة التي وقع فيها، وجب عليه إستيعاب أزمته أوّلا وعن ضرورة إستيعابها يقول: "وإذا نحن إستطعنا يوما أن نعرف ونفهم أنفسنا ومكانتنا المعنوية والطبيعية والبشرية، التي ما تزال قشرة الحضارة المستوردة هي التي تستر عورة جهلنا به، فإنّنا عندئذ نستطيع أن نعتبر أنفسنا قد وضعنا أرجلنا في أقصر طريق يوصلنا إلى التقدّم الحقيقي" **(شريّط، 1975، ص 41)**، ثم توجيه النقد الذاتي لذاته ثانيا وأخيرا البحث عن الحلول، ولذا يرى بأنّ النجاح في هذه المراحل يتطلّب من الإنسان أن يكون واعيا منظّما من خلال معرفته من أين يبدأ لينجح في الوصول إلى أين يريد، ما جعله يستند إلى القول التالي:" يقول مثل فيتنامي: إذا كنت لا تعرف من أين أتيت فإنّك لن تعرف إلى أين أنت ذاهب." **(شريّط، 2009، ص 296).**

وإذا كان من بين أهم أسباب وقوع هويّة الإنسان الجزائري في أزمة هويّاتية هو معاناته من عدم تداول اللغة العربية لأنّها لا تواكب العصر وتبنّي اللغة الأجنبية في المجالين الأكاديمي التعليمي والعمومي الشعبي، وجب توجيه النقد للمسؤول عن ذلك وهو المثقّف، من خلال تبنّيه للنقد الذاتي بمراجعة تناولهم لمسألة اللغة العربية والتعريب ويؤكّد شريّط على هذا في نصه الآتي:"إنّ أول عمل علمي يجب أن يقوم به المثقّف

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

هو أن يثور على واقعه بالنقد الذاتي، ولكن الثورة هنا لا تعني التهجّم الأعمى (...)، وإنّما الفكر النقدي الصحيح، هو الذي يجب أن نتعلّمه من ابن خلدون، وهو الشرح والتحليل للواقع، والبحث عن " علله وأسبابه" كما يقول." **(شريّط، 1975، ص36.)**

وبالنسبة للمعلّم حسب شريّط عليه توجيه النقد لذاته ثم للغة العربية التي لم يتمّكن من تكييفها مع تطوّر العصر لأساليب وطرق التعليم التي يتمكّن عبرها من إيصال ما هو مبرمج ومسّطر للمتعلّم، فيقول:" إنّني أعلم أنني أغضب الكثير من معلّمينا بهذا التشريح القاسي. ولكن ليسمح لي إخواني بأن أقول لهم: إنّ نقدنا الذاتي لأنفسنا- نحن عائلة المعلّمين – شرف لنا ودليل قوة وإخلاص.بدليل أنّنا لا نجد الأطباء مثلا أو المحامين أو الموظّفين الإداريين يكتبون عن نقائص عملهم ويشرحونها كما نفعل نحن المعلّمين. فالمعلّم هو وحده الذي لا ينتظر غيره أن يعلّمه شيئا. وقضية مدرستنا ليست قضية آنية تتعلّق بجيل يسير نحو الإنقراض، بل هي قضية المسقبل، قضية جيل سيكون منه مجتمع الغد في بلادنا." **(شريّط، 1981، ص – ص 30 – 31.)**

ولأهمية هذه النقطة بإعتبار أنّ " (...) اللغة ليست فقط تراثا للأمة، بل هي بالإضافة إلى ذلك أداة حركة للمجتمع الذي يريد أن يتنصّل من العجز و التعفن" **(شريّط، 1981، ص 150)**، يصّر على تطوير اللغة العربية لأنّها أهم مقوّم من مقوّمات الهويّة للحفاظ على أصالة هذه الأخيرة من ناحية، ولا يتعصّب لموقفه هذا بل يدعو إلى تعلّم أيّة لغة أجنبية أخرى يتواصلون بها مع الأمم الأخرى ويستفيدون منها تحت مبدأ المثاقفة، ويوجه خطابه هذا قائلا:

" أريد أن أقول بدون تحرّج لإخواني المعلّمين وأساتذة العربية، أنّهم يجب أن يثوروا على أنفسهم، أعني أن يراجعوا كل الأساليب التي تعلّموا بها هم العربية وأن لا يطبّقوها في تعليم العربية لأبناء اليوم. وهذه الثورة لا تكون إلاّ برفع المستوى الثقافي العام لا في العربية والتخلّص من أساليب عصور الإنحطاط فقط، بل وأيضا برفع هذا المستوى الثقافي في ميادين علم النفس والتربية وفي التاريخ العام وتاريخ الأدب وتربية الذوق الجمالي، وأخيرا بتعلّم لغة أجنبية يطلّون منها على تجارب وعقليات الأمم الأخرى في عصرنا الحديث، وعلى الثورات المتلاحقة التي تجري في العالم كل عام في هذا الميدان التربوي." **(شريّط، 1981، ص – ص 10 – 11.)**

هذا ويضيف شريّط إلى ذلك أهمية الوقوف على التكوين العلمي للمتعلّم ودمجه في مجتمعه الحقيقي لا مجتمع غيره، بلغة مجتمعه وثقافته وقضاياه ومشاكله قائلا:" (...) الهدف الأوّل الذي ينبغي أن نحقّقه هو دمج شبابنا في محيطهم الإجتماعي حتى يكونوا جزء حقيقيا من بلادهم لا جزءا من بلاد أخرى أو حضارة أخرى أو عالم غريب عن عالمهم. وهذا الدمج الإجتماعي أو السياسي يكون بواسطة الحزب أو الجيش الوطني." **(شريّط، 1981، ص 41.)**

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

إذن قبل إستيراد منتجات الآخر وكل لواحقها من فكر ومناهج ولغة تتناسب في الأصل مع مجتمعاتهم وقضاياهم، وجب البحث عن مناهج وأفكار نابعة من واقعنا ومجتمعنا وباللغة التي تتناسب معه، وحسب شريّط لن يكون إلّا " ابن خلدون قادر على حمل مشعل الثورة العلمية لهذا العالم المتخلّف، يكشف به ظلمات ماضيه وتحايل واقعه، وينطلق من فهمه لهذا الواقع نحو آفاق جديدة لا نهاية لحدودها، ولأنّ ابن خلدون بمنهجه الثوري في مجال العلوم الإنسانية هو أجدى لنا من إتّباع المناهج الأوروبية التي لا تصلح لتحليل واقعنا ولا تستطيع أن تأتينا بجديد لفهم هذا الواقع، أو للانطلاق منه نحو أفق جديد." **(شريّط، 1975، ص – ص 173 – 174.)**

توجيه النقد للمثقّف والمعلّم والمتعلّم واللغة والثقافة تجتمع كلها لأجل بناء هدف واحد حسب شريّط وهو الرهان الذي على أساسه يتم إصلاح كل شيء، إنّه " الإنسان " من خلال إتّباع ما عرف حسب فكره ب" سياسة تكوين الإنسان" **(شريّط، 2009، ص60)** لأنّه يرى بأنّ تنمية أيّة ثروة مادية أو فكرية لن تتحقّق إلا بعد التنمية البشرية بإعتبار هذا الأخير هو المنتج لها، وهو يؤمن بذلك أشدّ الإيمان مصرّحا:" إنّنا نحن الذين نؤمن بالإنسان كغاية ليس وراءها غاية " **(شريّط، 1982، ص 54)**، ومنطلقه في هذه الفكرة الأساسية يعود إلى الفكر الماركسي الذي رغم التأكيد على ماديته يظل رهانه الأول الإنسان ما جعله يقول:"(...) لا حاجة للقول بأنّ النظم الإشتراكية رغم فلسفتها المادية تعتبر تكوين الإنسان ثقافيا هو أقصى طريق للتقدّم المادي والذي يقضي على الجوع ليس هو القمح، بل الكتاب (...) وكان ماركس يقول: إنّ أهم رأس مال هو الإنسان." **(شريّط، 2009، ص77)**

وإذا كان شريّط قد دعا إلى التمسّك باللغة العربية للتأكيد على الذات والهويّة والخصوصية، فإنّه أيضا قد دعا إلى تعلّم لغات أخرى وهذا بدوره تأكيد على الإنفتاح والتواصل مع الآخر في إطار العالمية والكونية، أي يدعو إلى إقامة توازن بينهما دون طغيان أحدهما على الآخر، لأنّ التعصّب للخصوصية يصبح هوس هويّة وإنغلاق هويّاتي، والإرتماء في أحضان الكونية من دون فهم عقلاني يصبح تقليدا أعمى وتنصّلا من الذات وبالتالي تختفي جدلية الأنا والآخر، التنّوع الثقافي، الإختلاف والإبداع.

ويؤكد شريّط موقفه هذا في نصه الآتي:" إنّنا لا ندعو إلى التزمّت والإنزواء في أدبنا بل نؤاخذ أجدادنا عليه. وإنّما ندعو إلى إقامة توازن بين " الشخصية" و " العالمية" وإلى " المشاركة" لا إلى " التقليد" وإلى أن يكون لنا رصيد خاص نساهم به في الثورة الأدبية والفكرية العالمية ولا نبقى إلى الأبد نقتات من " البنك العالمي" لآداب الأمم الأخرى دون أن نساهم فيه برصيد خاص." **(شريّط، د.س، ص – ص 45 – 46.)**

وبخلاف شريّط نجد المفكر حسن حنفي يرى بأنّ علاقة الأنا بالآخر لا تمثّل بالضرورة علاقة الخصوصية بالكونية، فيقول:" إنّ العلاقة بين الأنا والآخر ليست علاقة بين الخصوصية والعالمية وإلّا أعطينا أنفسنا أقل مّما نستحق،وأعطينا الآخر أكثر ممّا نستحق" (حنفي والجابري، 1990، ص 80)، ومع هذا يشير في كلامه إلى ضرورة المساهمة في كل ما هو كوني، وهذه المساهمة لا تتم إلّا من خلال

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الخصوصيات، وبالتالي هنا يجب الحفاظ على الذات في مقابل الآخر والتميز بالخصوصية في إطار المساهمة في ما هو كوني

وتأثرا بالفيلسوف **براتراند راسل** الذي ترجم شريّط كتابه الموسوم ب" من أجل سعادة الإنسان " يؤكّد شريّط على أنّه بالرغم من ضرورة الحفاظ على الهوية والذات والخصوصية، إلّا أنّه وجب المشاركة مع الآخر في إطار الكونية شرط المساهمة فيها، وإن كان هذا الآخر مختلفا لدرجة إعتباره عدوا، لأنّ الهدف النهائي هو تحقيق راحة الإنسان وسعادته، وهذه السعادة لا تتحقّق إلّا بالمشاركة والتبادل، يقول شريّط على لسان راسل مترجما له:

" ففي نهاية النهايات يجب أن نتفطّن إلى أنّ سعادة الإنسان في العصر الحديث الذي يتماسك فيه كل شيء مع كل شيء، لا تتم إلا إذا إنسجمت مع سعادة الجيران (...) حتى ولو كانوا جيرانا نكرههم. فإذا تحقّق هذا الشرط فإنّ العالم يستطيع أن يبلغ من السعادة درجة لم يحلم بها في حياته." **(شريّط، 2009، ص121.)**

خاتمـــــــة:

أستنتج في ختام ورقتي البحثية بأنّ المفكّر الجزائري عبد الله شريّط قد تطرّق في فلسفته إلى قضية العلاقة بين الأنا والآخر والتي يعبّر عنها بمرادفات أخرى على نحو الموروث والوافد، الأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة، الهوية والتفتّح، لتمثّل قضية فلسفية كبرى واحدة وهي إشكالية الخصوصية والكونية، وفيلسوفنا لم يتوان في الوقوف أمامها، لأجل التطرّق لإشكالية الهويّة ومكانتها في ظلّ تجاوز منطق الثنائية مع عصر العولمة الذي يحاول إبتلاع التعدّد الثقافي .

ولهذا فقد حاول إبراز هويّة الإنسان الجزائري وخصوصيته وذلك بإنتهاجه خطوتين: الأولى تحليلية نقدية، من خلال تشخيصه لأبرز مقوّمات هوية الإنسان الجزائري المتمثّلة في العروبة، اللغة العربية، الوطنية، الدين الإسلامي، الثقافة، وكيف كانت مكمن قوة بالنّسبة له لمّا كان متمسّكا بها في مرحلة الثورة التحريرية الكبرى، ثمّ أضحت موطن ضعف لمجرّد تخلّيه عنها في فترة الإستقلال وما بعدها ما جعله يتخلّى تدريجيا عن خصوصيته وهويّته وينصهر في دائرة الكونية، وهو ما إنتقده وجعله ينتقل للخطوة الثانية والمتمثّلة تقديم الحل الممكن للخروج من هذه المشكلة وتجاوزها وهي خطوة تجسّد رؤية إستشرافية لشريّط وموقفه الحقيقي من إشكالية الهويّة والكونية.

وهذا الموقف يؤكّد على ضرورة وعي الأنا بمشكلتها وإنتاج ما يثبت خصوصيتها، دون إهمال الانفتاح على الآخر والمشاركة في الكونية لتحقيق الحداثة الفعلية، وبالتالي فإشكالية الهويّة كانت بالأساس مناقشة

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لإشكالية واحدة وهي إشكالية الإنسان الجزائري الذي أهمل بنظره في جوانبه المختلفة، التربوية والتعليمية، الثقافية والسياسية، والشروع بالاهتمام به وبكل جوانبه الفكرية والمادية وإعادة الاعتبار لمكانته، مع العمل على الاهتمام به وتنميته، تأكيد لهويّته وخصوصيته، ومنه تحقيق لهويّة وخصوصية المجتمع الجزائري وتطوّره.

قائمــة المصــادر:

- شريّط عبد الله: **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1975.
- شريّط عبد الله: **من واقع الثقافة الجزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- شريّط عبد الله: **معركة المفاهيم**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- شريّط عبد الله: **حوار إيديولوجي حول المسألة الصحراوية والقضية الفلسطينية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،د.ط، 1982.
- شريّط عبد الله: **الأعمال الكاملة، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية**، المجلد الأول، ج 1، منشورات السهل، الجزائر، 2009.
- شريّط عبد الله: **الأعمال الكاملة، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب**، المجلد الثاني، الجزء الأول، منشورات السهل، الجزائر، د.ط ، 2009.
- شريّط عبد الله: **الأعمال الكاملة- من أجل سعادة الإنسان-**، المجلد الأول، الجزء الأول، منشورات السهل، د.ط، 2009.
- شريّط عبد الله: **الأعمال الكاملة، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر**، المجلد 3، منشورات السهل، الجزائر، د.ط، 2009.
- شريّط عبد الله: **الرماد**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.س.

قائمــة المراجــع:

- المسّدي عبد السلام: **الهوية العربية والأمن اللغوي**، المركز العربي للأبحاث، لبنان، ط 1، 2014.
- المصباحي محمد: **رهانات الفلسفة العربية المعاصرة**، كلية اللآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ط 1، 2010.
- حنفي حسن والجابري مجمد عابد: **حوار بين المشرق والمغرب**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1990.

www.manaraa.com

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع/ 10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- حمّانة البخاري: **فلسفة الثورة الجزائرية**، ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية، الجزائر، ط1، 2012.
- سبيلا محمد: **مدارات الحداثة**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط1، 2009.

www.manaraa.com